صندوق الحكايات

خمسة عشر جباناً

جائزة سوزان مبارك فى أدب الطفل عام ٢٠٠١ (المركز الأول)

تأليف ورسوم

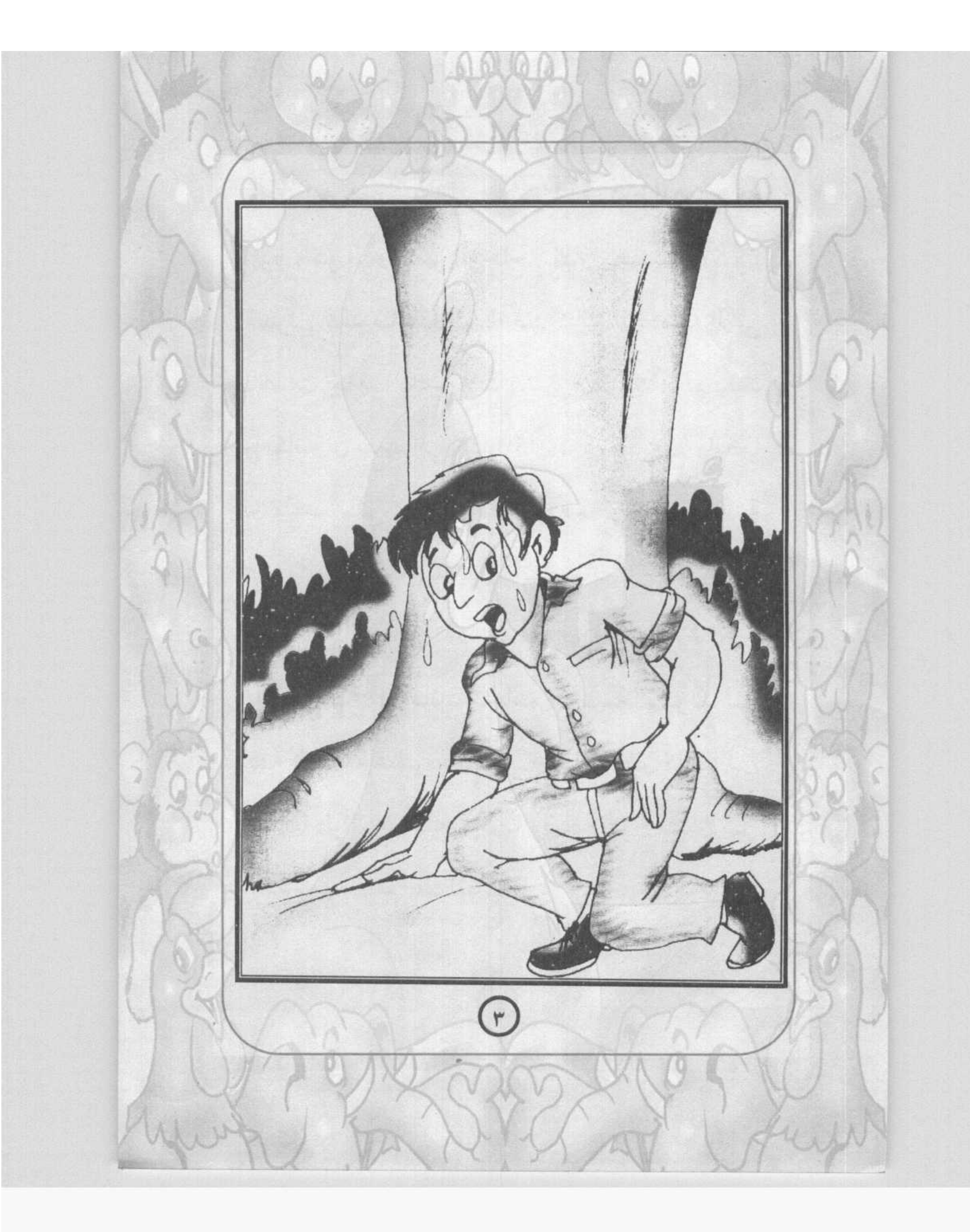
عبد الرحمن بكر

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
ت: ٢٢٥٧٨٨٢

خمسة عشر جباناً

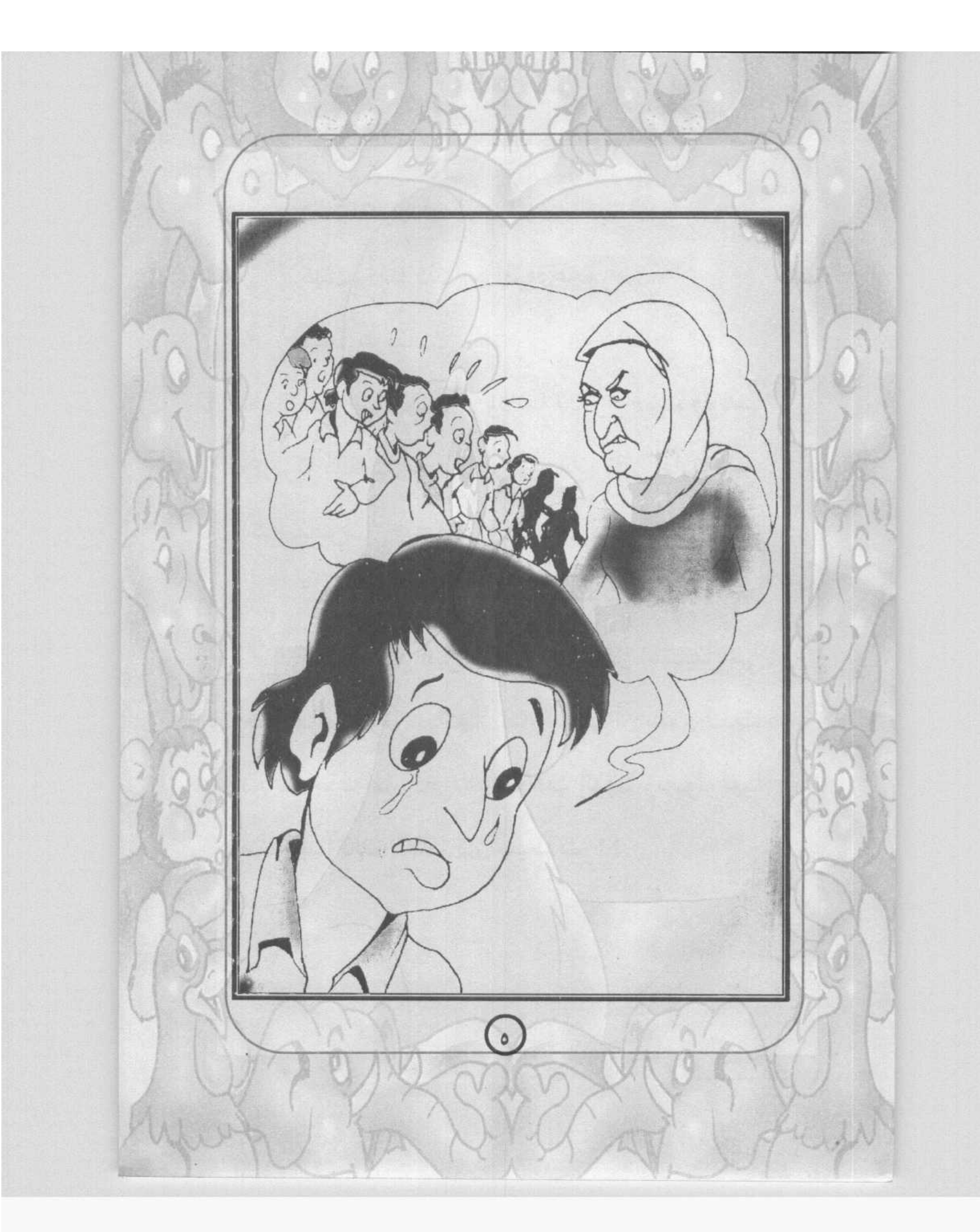
أخيراً توقف محمد عن الجرى ليلتقط أنفاسه.. نعم.. لقد جرى مسافة لا بأس بها.. يستطيع الآن أن يستريح.. إن صوتها مازال يتردد فى أذنه (خمسة عشر جباناً.. خمسة عشر جبان..)

جلس محمد تحت الشجرة قليلاً ليستريح بينما عقله لا يتوقف عن التفكير فيما حدث.. لم يكن يتخيل أبداً أن تخرج "أم هبة" هذه المرة من بيتها.. دائماً كانت تصرخ فيهم من الشباك ليلعبوا بعيداً.. لكن هذه المرة غير كل مرة.. فكيف ستصرخ من الشباك وقد كسروا زجاجه؟ لقد انطلقت خلفهم تصرخ.



إنه هو المسئول.. إنه هو الذى شاط الكرة هذه المرة.. هو الذى كسر الزجاج.. كان يجب أن يكون حذراً.. فبسبب هذا الخطأ فقد كرته الجميلة التى دخلت بيتها وأصبحت أسيرة عندها.. لم يعد بإمكانه أن يلعب فى هذا المكان مرة أخرى.. وأيضاً لن يلعب باقى زملائه فقد فروا معه.. كانوا خمسة عشر كلهم أصدقاء يلعبون دائماً هناك.

وفجأة عندما تذكر محمد أصدقائه.. زرفت من عينيه دمعة فقد كانت كلمات "أم هبة" تتردد فى أذنه (خمسة عشر جباناً).. يا لها من كلمة لن ينساها طوال حياته.. إنها وصمة فى جبين كل واحد منهم.. ثم قال لنفسه:



فعلاً لقد صدقت.. يا لنا من جبناء..

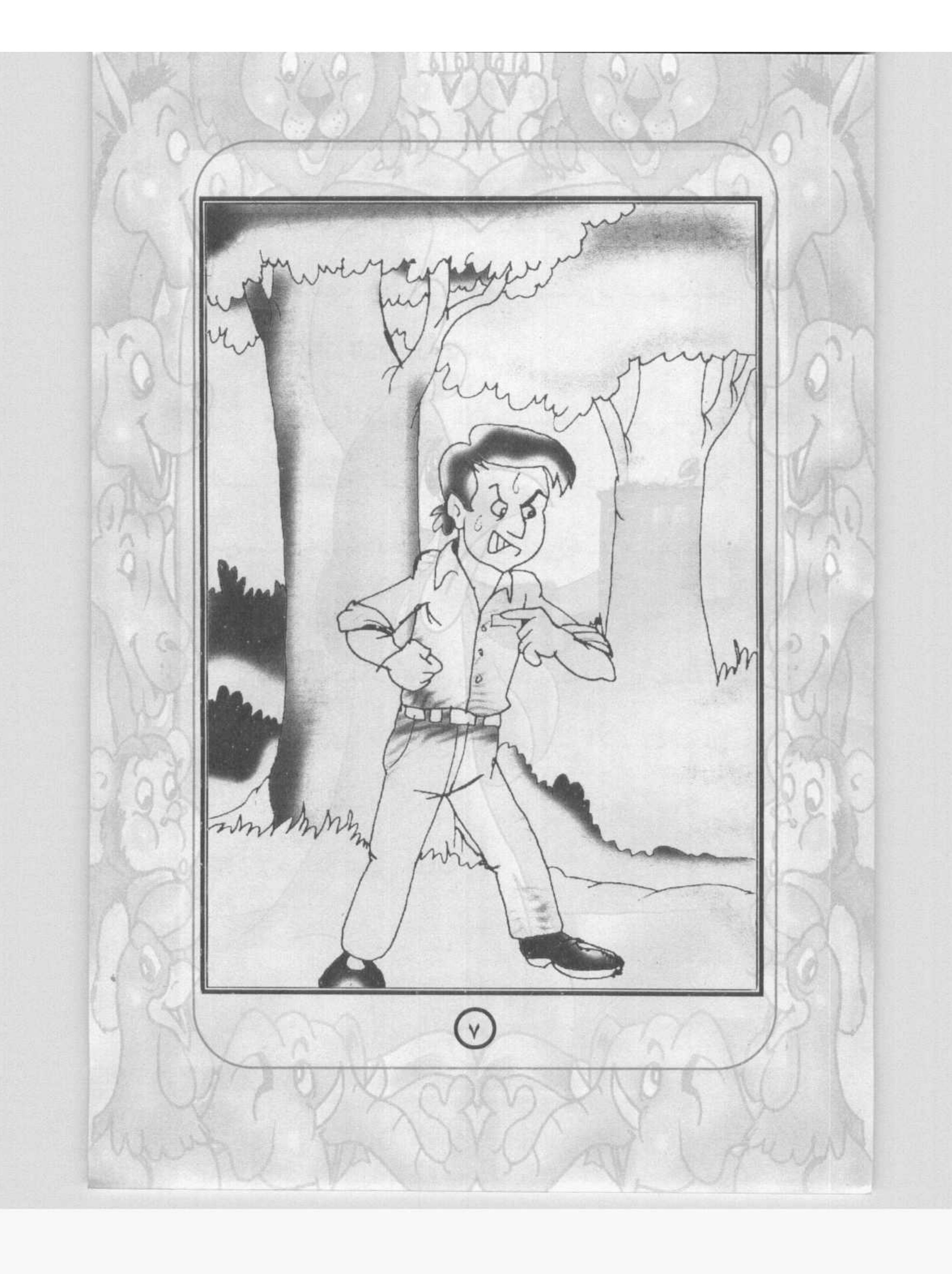
كيف خفنا كلنا من امرأة عجوز..؟

ولماذا هربنا..؟

حقاً إنها قاسية.. ودائماً تصرخ فى وجوهنا وتأمرنا باللعب بعيداً.. بل وأحياناً تلقى علينا الماء لكى ننصرف.. إنها امرأة شرسة..

توقف محمد عن التفكير لحظات ثم قال:

شرسة.. أو غير شرسة..؟! نحن اعتدينا على حقوقها وكسرنا شباكها.. كان يجب أن يكون لدينا من الشجاعة ما يكفى لأن نذهب إليها ونقول لها أننا فعلنا ذلك.. ماذا كان سيحدث؟!!.



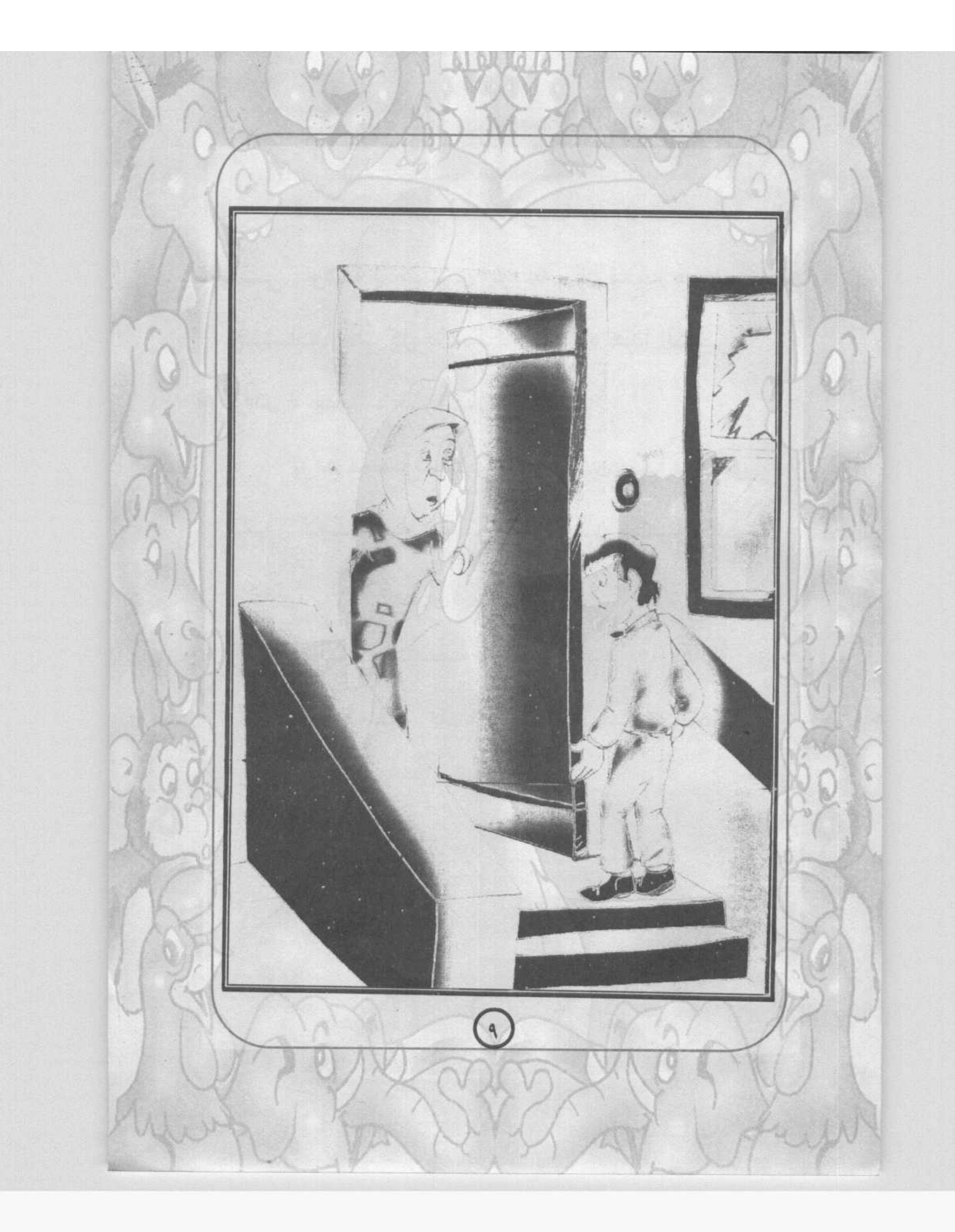
حقاً نحـن جبنـاء.. لا نحسـن سـوى الفـرار..

وأنــا أجبــنهم جميعــاً.. فأنــا المسـئول عــن كسـر الزجاج.. وأنا الذى بدأت الفرار..

كان من الممكن حل الأمر بسهولة.. لكى نرفـع الضــرر عنهــا.. لـو كنــا أكثـر شـجاعة وتحمـلاً للمســئولية.. لجمعنــا مــن كــل واحــد جنيهــاً أو جنيهين..

فنحن خمسة عشر وهذا عدد كبير.. وبسهولة كنا سنصلح لهـا الزجـاج.. ولكـن مـع الأسـف نحـن بالفعل كما قالت:

(خمسة عشر جباناً).



قام محمد من مكانه وبدأ يعود من حيث أتى.. وهو يتحسس جيبه.. إن معه خمسة جنيهات.. هى كل ما استطاع توفيره هذا الشهر.. ولكن لا يهم سيعتذر لها..

تردد محمد قليلاً وقال: ولكن ماذا ستفعل معى.. لابد أنها غاضبة جداً.. هل ستصرخ فى وجهى.. أم ستضربنى..؟ أم ماذا..؟!!

تمالك محمد نفسه وأبعد عنه مخاوفه وقال:

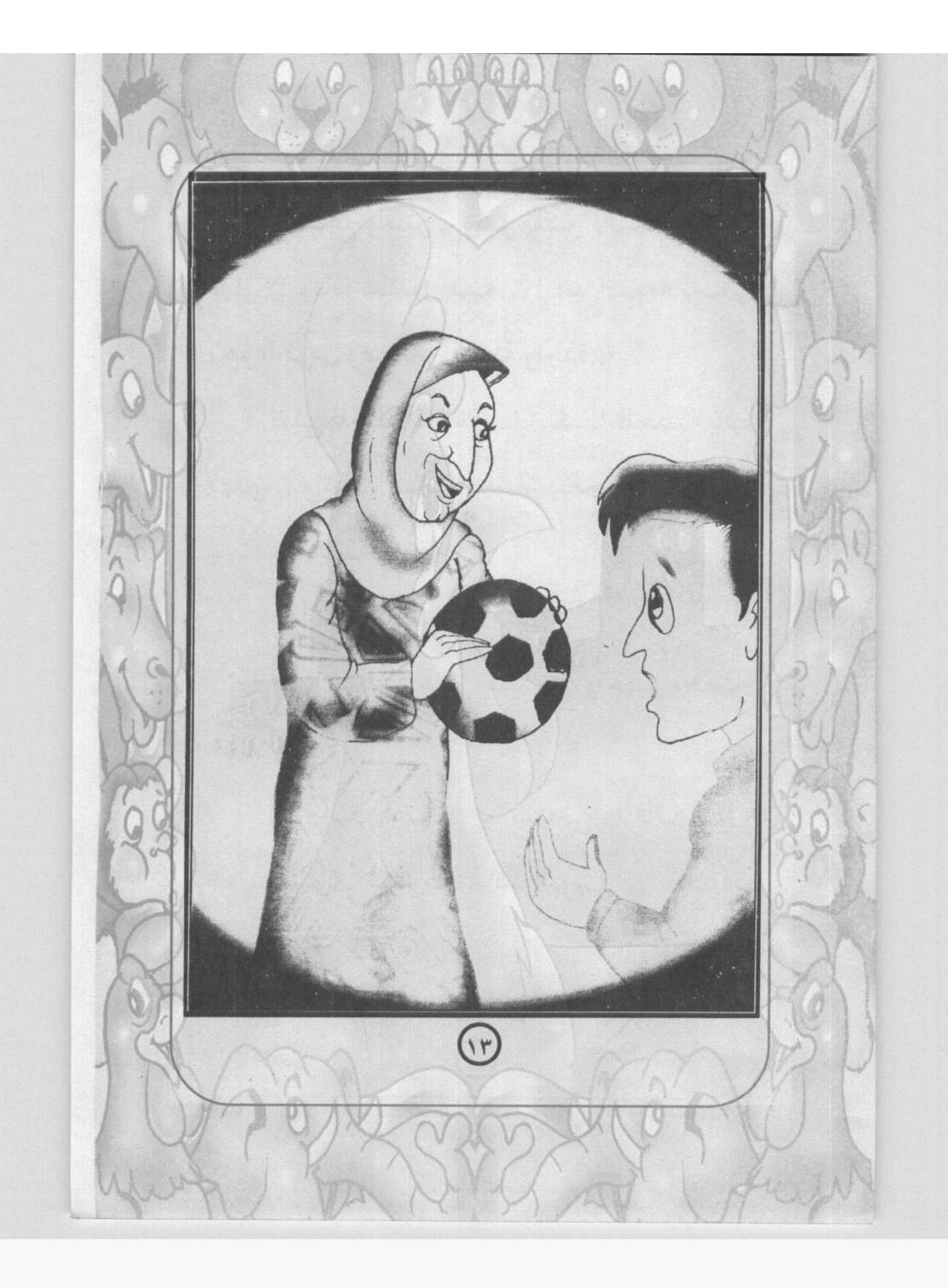
مهما فعلت.. فقد أخطأت.. ويجب أن أتحمل نتيجة خطئى..



وأخيراً وصل محمد إلى الساحة التى كانوا يلعبون فيها.. وظهر أمامه بيت "أم هبة".. وكان أول ما وقعت عليه عينيه هو الشباك المكسور..

عندما اقترب محمد من الباب.. بدأ الخوف يسرى إلى قلبه.. وارتعدت أوصاله.. وهو يتخيل "أم هبة" وكأنها تنتظره خلف هذا الباب.. لتقتص منه.. وكلما اقترب.. كلما ازداد خوفه.. وتردده..

ثم توقف لحظات خلف الباب.. بينما قدماه تدعوانه للفرار.. لكنه أصر على البقاء.. فهو لم ينس أبداً كلمتها (خمسة عشر جباناً)..



فتشجع واقترب وهو يفكر.. ماذا سيقول لها..؟! وماذا ستفعل معه..؟! مد إصبعه بحذر نحو الجرس وضغطه.. ضغطة واحدة..

تمنى للحظة ألا تفتح..!! لكنها فتحت الباب بهدوء.. ونظرت إليه "أم هبة" بتعجب ثم قالت بابتسامة هادئة:

ماذا تريد يا بنى..؟!

فسال العرق على جبينه.. واحمر وجهه خجلاً وقال:

أنا.. أنا.. آسف.. يا سيدتى..! فأنا الذى ضربت الكرة.. فكسرت شباكك اليوم.

مدت "أم هبة" يدها نحوه.. فانحنى بسرعة وكأنه سيتلقى ضربة شديدة.. لكنه فوجئ بها.. تُربت على كتفه برفق وحنان.. فشعر أن جبلاً سقط من على صدره.. وابتسم لها قائلاً:

أنا على استعداد أن ادفع ثمن إصلاح الزجاج..

وأخرج بسرعة الخمسة جنيهات التى كانت فى جيبه قائلاً:

هذا كل ما أملكه الآن.. وأعدك أن أقترض من أبى الباقى وآتى لأصلحه غداً صباحاً.

فلم تجب "أم هبة" سوى بابتسامة صغيرة ودخلت إلى منزلها وتركته على الباب.. لا يدرى ماذا يفعل..!

لكنهـا عـادت بعـد قليـل.. وقـد حملـت بـين يديها كرته الجميلة وقالت:

هذه لك يا صغيرى.. وضع نقودك فى جيبـك.. فسأحتفظ بالزجاج مكسوراً..

تعجب محمد وقال:

لـماذا يـا سـيدتى.. لا تقلقـى سأصـلحه لـك.. وأعيده أفضل مما كـان.. فأنـت طيبـة القلـب جـداً.. وهذا خطئى.. وأنا المتكفل به..

فزادت ابتسامة "أم هبة" وقالت وهى تودعه:

بل سـأحتفظ بـه مكسـوراً.. ليـذكرنى بشجاع واحد وأربعة عشر جباناً..!!